كلمة الدكتور ايلي أديب سالم

رئيس جامعة البلمند

التي ارتجلها بمناسبة

افتتاح العام الدراسي ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦

لمعهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي

يوم الثلاثاء، في ٢٧ أيلول ٢٠٠٥

سيادة المتروبوليت بولس،

زملائي في الجامعة وفي المعهد،

نفتتح هذه السنة الجامعية بصلاةٍ، وبكثير من الأمل من أجل لبنان وبلدان المشرق العربي. ونتمنّى للبـنان ولهـذه المـنطقة المعذّبة الاستقرار الأمني، والتقدّم الروحي، والنموّ السياسي، والازدهار الاقتصادي. ولهذه المناسبة نرحّب بالعميد الجديد، لمعهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي الدكتور جورج نحاس.

عرفـتُ جـورج مـنذ أن أتيت إلى جامعة البلمند سنة ١٩٩٣. وأنا واثق بأنّه سيعطي كل وقته بـالمطلق لـرفع شـأن المعهـد، ولدفـع نموّه من ضمن جامعة البلمند. جورج نحّاس لا يعرف "الوسطية" في عمله، فهو يعطي دائماً كلّ ما عنده، وخاصة عندما يكلّفه صاحب الغبطة بمسؤولية على هذا المستوى العالي من الكنسية والروحية والثقافية.

ولهـذه المناسـبة، نرحّـب باندمـاج المعهـد في الجامعة. وأعني بالاندماج، الاندماج الإداري، والاندماج المالي حتّى يستقرّ المعهد، ويتفرّغ للأمور الكنسية الكبرى لتي هي من مسؤولياته.

جامعـة البلمـند فـريدة في التاريخ. وإغناطيوس الرابع هو الوحيد، من بين مئة وخمسة وستين بطريـركاً اعتلوا عرش أنطاكية، الذي أسّس جامعة. إنها الجامعة الأرثوذكسية الأنطاكية الوحيدة فـي العـالم، وكل مَن يعمل فيها يشعر بالفرح، لأن الأرثوذكسية مبنيّة على الأمل والفرح. ولهذه الفـرادة مسؤولية تاريخية أعيها كلّياً، كما يعيها كلّ مَن يساعدني في مهمّة إدارة الجامعة. ومعهد القديـس يوحـنّا الدمشـقي فـريد كذلك، مثل الجامعة الذي تحتويه. هناك معاهد عديدة لتدريس الأرثوذكسـية، فهي إمّا روسية أو يونانية، سواء وُجدت في روسيا، أو في باريس، أو في أميركا الشـمالية، أو فـي اليونان، وهي لا تزيد على سبعة أو ثمانية. ولكن هناك معهد واحد في العالم، معهـد القدّيـس يوحنّا الدمشقي، الذي يعد قادة الكنيسة الأرثوذكسية الأنطاكية وأباءها. قد لا يقدّر

هـذه المسـؤولية مَـن يعيشـها أو يعايشها، ولكنّها مسؤولية كبرى عندما ننظر إليها على امتداد التاريخ.

قفزَت جامعة البلمند، برعاية مؤسّسها الكبير، الرجل التاريخيّ إغناطيوس الرابع، قفزات لا مثيل لهـا. فمـنذ تأسيسها سنة ١٩٨٨، أصبحت تضاهي جامعات تأسست في القرن التاسع عشر، في لبـنان وفـي المنطقة. ومما لا شكّ فيه أن في العديد من كلّياتها ونوعية خرّيجيها، تحتل الجامعة المرتبة الأولى أو هي من بين الأوائل. ومن دواعي فخرنا أن يتواجد خريجونا، في أهمّ جامعات العالم إن في بريطانيا، أو في فرنسا، أو في الولايات المتحدة وهم دوماً من بين الأوائل المبدعين.

ابتدأت الجامعة بثلاث كلّيات، وهي الآن مؤلّفة من تسع كلّيّات. ابتدأت في مبنى، وهي الآن تضم ثمانـية وعشـرين مبـنى، وحوالي ثلاثمائة أستاذاً، ونحو ثلاثة آلاف طالباً. فنسبة الأساتذة إلى الطلاب فريدة في الشرق الأوسط أي بنسبة أستاذ لكل عشرة طلاّب. فهذا أحد وجوه تمايزها.

أمّـا معهـد اللاهوت، فكان منذ أنْ أُسس، معهدًا جامعيا. كوني لست لاهوتيّاً، بل مجرّد مواطن وعضـوٍ مؤمـن في الكنيسة الأرثوذكسية، فلا يحق لي التكلّم لاهوتياً ولكني من موقع المسؤولية الجامعية أشدد على المنهجية على الأهداف والوسائل. على المعهد مسؤولية ترجمة ما هو علمي، ومـا هو عالمي، وما هو موضوعي، إلى عالم اليوم. عليه تقع مسؤولية ترجمة الكنيسة إلى واقع الإنسـان. عليه تقع مسؤولية تفسير الكلمات والرموز كي يفهمها الشعب. عليه تقع مسؤولية رفع الإنسـان الفرد من الجماهير والجمهرة. لن أدخل في صميم هذه المسؤوليات، بل سأكتفي، كعضو في الكنيسة، أن أُعلق على بعض النّقاط. أعتبر أن الإيمان الأرثوذكسي يرتكز على أمور خمسة: أولاً الكتاب المقدس، (القديم والجديد) ثانياً الليتورجية، ثالثاً المجامع المقدّسة، رابعاً الآباء، خامساً الفنّ الكنسي الإيقوني وغيره.

لكلّ منّا نظرته للإيمان، ولكن مسؤوليتكم ومسؤولية الجامعة ومسؤوليتي تكمن في توضيح الأمور الآتية: ماذا نعني بالكتاب المقدّس؟ كيف نقرأه ؟ كيف نفسّر رموزه؟ خاصة أنه من أعظم ما كتبه الإنسـان أو ما أُلهم إليه لكتابته. ولكن الكتاب المقدّس أصبح اليوم كتاباً مهمّشًا. فالإنسان العادي، ولاسـيما الأرثوذكسـي، لا يقـرأ الكتاب المقدّس. كيف نُعيد للكتاب المقدّس دوره المحوريّ في الكنيسة؟ كيف نفسّره للعالم الحديث وبلغة يفهمها الشباب؟

أمّا الليتورجية، القداس الأرثوذكسي الذي يكمن جماله في جمال الكلمات، والمعاني، والرموز التي يحملهـا، وهو أوبرا إلهية وقف وفد عند استماعها مبهوراً، ذلك الوفد الذي أتى من كييف ليحضر القـداس في آجيا صوفيا، فكتب إلى أمير كييف معبّرًا عن ما شعر به: " لم نكن نعرف إن كنّا في السـماء أو على الأرض، لشدّة ما كان ذلك القدّاس رائعًا". أما دوستويفسكي، فيقول عن القدّاس الأرثوذكسي في كتابه "الإخوة كرمازوف": " The beauty of the Orthodox Mass lies in the Mystery of the proceedings". مـاذا يعـرف الأرثوذكسـي؟ لا شيء سوى القدّاس وبشكل سطحي جداً ولكن القدّاس بحدّ ذاته يحتاج إلى كثير من التفسير والإبداع وإلى خلق جديد.

بالنسـبة إلـى المجـامع المقدّسـة، فهـل نعتبر أن الكنيسة الأرثوذكسية قد تحجّرَت؟ ألم نسمع إغناطيوس الرابع يقول: "كفانا جثثًا، فلننظر إلى المستقبل". لا يجوز أن نقبل بأن المجامع المقدّسة هي فقط تلك التي حصلت بين ٣٢٥ و٧٨٣. بغضّ النظر عن كيفية تحديد المجامع المقدّسة، فهي مستمرّة، وإن لم تكن حية اليوم فيجب أن تستمر في الحاضر وفي المستقبل البعيد.

أمّـا الآباء، فكلّنا يجلّ ويعزّ ويحترم الذين منهم كتبوا في القرن الثاني والثالث والرابع والخامس. وكـيف لا نفخر بأمثال الأقمار الثلاثة. وما كتبه الآباء فهو بحق من أجمل ما كُتب. ولكن أيجوز لـنا كأرثوذكسيين أن نقول أن هذا كل ما عندنا وان الفكر الأرثوذكسي قد توقف، قد تحجر؟ أليس بينـنا الآن آباء؟ أليس بيننا اليوم قدّيسون؟ نعم اليوم عندنا آباء، وعندنا قدّيسون، وسيكون لنا آباء وقديسـون في المستقبل. ولكن كل هذا يحتاج إلى إعادة نظر في التقليد، ويحتاج الى ثقافة جامعية تحيي التراث وتدل على معالم الطريق وحتى في أصعب وأضيق معابر التاريخ.

أمّـا الفن الكنسي، الأيقونة وغيرها من الفنون، فهو رمز لما يخفي وراءه من جمال ومن أفكار. والكنيسـة مع كلّ ما فيها من أيقونات ومن بخور، هي بحدّ ذاتها قاعدة للانطلاق الروحي. يقول أفلاطـون أن الفكر الخلاق ينطلق من محيط جمالي هادىء. وكذلك المسالك الروحية تتوق الى المعابد والى أيقوناتها والى فنها والى رائحة البخور فيها.

أمامـنا تحدّيـات كثيرة كجامعيين. والجامعة تقف دائماً على حافّة الخطر لأنّها دائماً تسأل ما لا يُسـأل عادة، وتتحرّى في ما لا يُتحَرّى عنه عادة. غير أن الجامعة جامعة. يقول مؤسس الجامعة إن الله خلـق الإنسـان وأعطـاه عقلاً، ونحن نقبل كلّ ما يأتي به العقل. هذه حرّية هائلة لجامعة البلمـند، حـرية تضـعنا أمام مسؤوليات جسام، أمام الفرد والمجتمع. كيف ننقذ الفرد، كيف ننقذ

الشـخص الـذي نعرف، الذي له اسم، وعائلة، وتاريخ ولادة، وموعد مع آخرته. كيف ننقذ هذا الفرد من الجمهرة، من العادي، من التلفزة، من علك ما هو شائع في الشارع ومن الاندماج الكلي مـع الكـل، وكأنه يختار لاشيئية الوسط كي يتحرر من عبء القرار الفردي، الكينوني، الأصيل، الخاص به، ولا بأي شخص آخر.

نحن، في الكنيسة الأرثوذكسية، ولاسيما في الجامعة الأرثوذكسية، وبالأخصّ في معهد اللاهوت، نحـن مشرقيون عرب. لسنا ضيوفاً في هذا البلد، وإنما من أسسه، ومن الأولياء عليه. لذلك تقع عليـنا مسـؤولية فـي مطلـع القرن الواحد والعشرين. ففي الوقت الذي يعمّ الخلاف الكبير بين المسـيحيين والمسـلمين، عليـنا أن نلعب الدور الصحيح بين المسيحيين والمسلمين. نحن نعرف الإسلام، ونحبّ الإسلام، ونحبّ المسلمين، والجامعة هي للمسيحيين كما للمسلمين على حدّ سواء. لا يـرى الأرثوذكسي نفسه وحده، بل يرى نفسه مع الغير. أو كما يقول غغناطيوس الرابع نحن نـرى أنفسـنا بالغـير الآخر فهو مرآة لنا، والعلاقة بيني وبين الآخر هي علاقة حب كما فهمها القديس بولس، وكما عبر عنها برسائله.

نفتتح هذه السنة ومنطقتنا كلّها في سعير، وعلينا أن نتحمّل مسؤوليتنا كجامعيين تجاه ما هو حقّ، مـا هـو عدل، ما هو صحيح وبمنهجية صحيحة، لكي نخلص شبابنا من غوغائية الوجود، ومن الإنجـرار وراء الشعارات. فمهمة الجامعة هي معرفة الحقائق بدقّة، وبمنهجية علمية خاصّة بها، تترجم الحقائق مشاريع وأساليب لخدمة الانسان ولرفع شأنه روحياً وفكرياً وثقافياً واقتصادياً.

أتمـنّى للمعهـد سنة جديدة، وأتمنّى لزملائي في المعهد وفي الجامعة سنة خير وسلام واستقرار، وليكن الله معكم.